لـهـم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي: لا تكابرهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢] فإنَّهُمْ لا عِلْمَ لهم بهم ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] أي: ولا تقولنَّ لشيءٍ سَأَلُوكَ عنه كما قلتَ في هذا إني مُخْبِرُكُمْ غَداً، واسْتَثْنِ مشيئةَ الله، واذكرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ، وَقُلْ: عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتموني عنه رشداً؛ فإنك لاَ تَدْرِي ما أَنَا صَانِعٌ في ذلك ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥] أي: سيقولون ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦] أي: لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرَّجُلِ الطواف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ [الكهف: ٨٣، ٨٤، ٨٥] حتى انتهى إلى آخرِ قِصَّةِ خَبَرِهِ.

خبر ذي القرنين

وكان مِنْ خَبَرِ ذي القرنين أنه أوتي ما لم يُؤْتَ أحدٌ غَيْره، فمُدَّت له الأسباب حتى انتهى مِنَ البلادِ إلى مَشَارِقِ الأرضِ وَمَغَارِبَهَا، لا يَطَأُ أرضاً إلا سُلِّط على أَهْلِهَا، حتى انتهى مِنَ المشرقِ والمغربِ إلى ما ليس وراءه شيءٌ مِنَ الخلْقِ.

قال ابن إسحاق: حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم (٥٧/ب) ـ فيما توارثوا من علمه ـ أَنَّ ذا القرنين كَانَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مصر اسمُهُ مَرْزَبان بن مرذبة اليوناني؛ من ولد يونان بن يافث بن نوح [٢١٢].

قال ابن هشام: واسمُهُ الإسكندَرُ، وهو الذي بنى الإسكندرية فَنُسِبَتْ إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني ثَوْرُ بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان الكَلاَعي، وكان رَجُلاً قد أَدْرَكَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن ذي القرنين فقال: «مَلَكٌ مَسَحَ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بالأَسْبَابِ».

وقال خالد: سَمِع عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رَجُلاً يقول: يا ذا القرنين،

---

[٢١٢] أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٣٧ ـ ٣٨) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩) رقم (٩٧٥/ ٢٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق به وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤٢) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

فقال عمر: اللَّهُمَّ غَفْراً، ما رَضِيتم أنْ تَسَمَّوْا بالأنبياءِ، حتى تسميتم بالملائكةِ [٢١٣].

قال ابن إسحاق: والله أَعْلَمُ أيُّ ذلك كان، أقال ذلك رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أم لا؟ فإن كان قاله فالحقُّ ما قال.

وقال ـ تعالى ـ فيما سألوه عنه مِنْ أَمْرِ الرُّوحِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن إسحاق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال: لما قَدِمَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المدينةَ قَالَتْ أحبارُ يهودٍ: يا محمد، أَرَأَيْتَ قولَكَ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تُرِيدُ أم قَوْمَكَ؟ قال: كُلاً، قالوا: فإنك تتلُوا فيما جَاءَكَ أنا قد أُوتينا التوراةَ فيها بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ فِي ذٰلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ» قال: فَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] أي: إنَّ التوراةَ في هذا مِن عِلْمِ الله قليلٌ.

قال: وأنزل الله ـ تعالى ـ عليه فيما سأله قَوْمُهُ لأنفسِهِمْ مِنْ تَسييرِ الجِبَالِ وتقطيعِ الأرضِ وبَعْثِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١] أي: لا أَصْنَعُ من ذلك إلاَّ ما شئت.

وأَنْزَلَ عليه في قولهم: خُذْ لِنَفْسِكَ، ما سألوه أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ أن يَجْعَلَ له جناناً وَقصوراً وكنوزاً ويبعث معه مَلَكاً يُصَدِّقُهُ بما يقول ويرد عنه: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ٧، ٨، ٩، ١٠] أي: من أن تَمْشِي في الأسواقِ وتلتمس المَعَاشَ ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ٩، ١٠].

وَأَنْزَلَ عليه في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

---

[٢١٣] إسناده ضعيف لإرساله. خالد بن معدان عن النبي ﷺ مرسل وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩ ـ ١٤٨٠) رقم (٩٧٦/ ٢٣) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٣٨) كلاهما من طريق ابن إسحاق به. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

[الفرقان: ٢٠] أي: جعلت بعضَكُمْ لبعضٍ بلاء لِتَصْبِرُوا، ولو شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ (٥٨/أ) الدنيا مَعَ رُسُلي فلا يُخَالَفُوا؛ لفعلتُ.

وأَنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣] [٢١٤].

قال ابن هشام: الينبوعُ: ما نَبَعَ مِنَ الماءِ مِنَ الأَرضِ وغيرِها، وجمعُهُ: يَنَابِيعُ؛ قال ابن هَرْمَةَ (واسمه إبراهيم بن عبد الله الفهري) [من الكامل]:

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً ... نُزِفَ الشُّئُونُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والكِسَفُ: القطعُ مِنَ العَذَابِ، وواحدته كِسْفَة، مثل سِدْرة وسِدر، وهي أيضاً واحدة: الكِسْف، والقبيلُ: يكون مُقَابلةً ومُعَاينةً، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] أي: عياناً، وأنشدني أبو عبيدة لأعشَىٰ بني قيس بن ثعلبة [من الطويل]:

أُصَالِحُكُمْ حَتَّىٰ تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَىٰ يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا[2]

يعني القابلة؛ لأنَّها تُقَابلها وتقبل ولدها، وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

---

[٢١٤] إسناد ضعيف للإنقطاع بين ابن إسحاق وابن عباس وأخرجه موصولاً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف أيضاً لجهالة شيخ ابن إسحاق. وقد وقع تسمية شيخ ابن إسحاق في رواية عند ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٥١) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس.
ومحمد بن أبي محمد هو مولى زيد بن ثابت روي عن سعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس. وتفرد عنه محمد بن إسحاق. قال الذهبي في «الميزان» (٦/ ٣٢١): لا يعرف. وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٠٥) مجهول.

---

(١) نَزَفَ، معناه: ذهب دمعها، والشئون: مجاري الدموع.

(٢) أُصَالِحُكُم حتى تبوؤا بمثلها، أي: حتى ترجعوا وقد نالكم مثلها، والصَّرخة: الصيحة. ويروى عجزه هكذا: ـ

... كَصرخة حبلى يَسَّرَتْهَا قبولها

ينظر: ديوانه ص: ١٥٩.

وَيُقَالُ: القبيلُ جمعُهُ قُبُل، وهي الجماعاتُ، وفي كتابِ الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١] فقبل: جمع قبيل، مثل سُبُل جمع سبيل، وسُرُر جمع سرير، وقُمُص جمع قميص، والقبيل أيضاً في مثل من الأمثال، وهو قولهم: «ما يعرف قبيلاً من دَبِير» أي: لا يعرف ما أقبل مما أدبر؛ قال الكُمَيْتُ بن زيد [من الوافر]:

تَـفَـرَّقَـتِ الأُمُـورُ بِـوِجْـهَـتَـيْـهِـمْ فَـمَـا عَـرَفُـوا الـدَّبِـيـرَ مِـنَ الْـقَـبِـيـلِ

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: إنما أريدُ بهذا الفتل؛ فما فتل إلى الذراعِ فهو الْقَبيل، وما فُتِل إلى أطرافِ الأصابع فهو الدبيرُ، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت، وَيُقَالُ: فتل المغْزَل: فإذا فتل إلى الركبةِ فهو القبيلُ، وإذا فتل إلى الورك فَهُوَ الدبيرُ، والقبيلُ أيضاً: قومُ الرجلِ، والزُّخْرُف: الذهبُ، والمُزَخْرَفُ: المزيَّنُ بالذَّهَبِ؛ قال الْعَجَّاج [من الرجز]:

مِـنْ طَـلَـلٍ أَمْـسَـى تَـخَـالُ الْـمُـضْـحَـفَـا رُسُـومَـهُ وَالْـمُـذْهَـبَ الْـمُـزَخْـرَفَـا[1]

وهذان البيتان في أرجوزة له.

ويقال أيضاً لكل مزين: مزخرف.

قال ابن إسحاق: وَأُنْزِلَ عليه في قَوْلِهم: إنَّا قد بلغنا أَنَّك إنما يُعَلِّمك رَجُلٌ باليمامةِ يُقَال له الرحمنُ، ولن نؤمن به أبَدَاً: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠] [٢١٥].

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام لعنه الله وما هَمَّ به: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ [العلق: ٩ ـ ١٩]قال (٥٨/ب) ابن هشام: لَنَسْفَعاً: لنَجْذِبَنَ ولنأخذَنْ؛ قال الشاعر [من الكامل]:

قَـوْمٌ إِذَا سَـمِـعُـوا الـصُّـرَاخَ رَأَيْـتَـهُـمْ مِـنْ بَـيْـنِ مُـلْـجِـمِ مُـهْـرِهِ أَوْ سَـافِـعِ[2]

---

[٢١٥]أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢١) عن عكرمة مرسلاً بنحوه.

---

(١) ينظر: ديوانه (٢/ ٢١٩، ٢٢٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٨٠) (زحف).

(٢) الصُّراخ هنا: الاستغاثة، والساقع: الآخذ بالناصية. والبيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ص ١٤٥؛ ولحميد بن ثور في ديوانه ص ١١١؛ وشرح التصريح ٢/١٤٦؛ وشرح شواهد المغني ١/ =

والنادي: المجلسُ الذي يَجْتَمِعُ فيه القومُ ويقصُّون فيه أمورَهُمْ، وفي كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وهو النَّدِيُّ؛.

قال عَبيدُ بن الأبْرصِ [من البسيط]:

إِذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... أَهْلِ النَّدِيِّ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي[1].

وفي كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] وَجَمْعُهُ أندية، يَقُولُ: فلْيَدْعُ أَهلَ نَادِيَه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريدُ أَهْلَ القرية؛ قال سَلامة بن جَنْدل أحد بني سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم [من البسيط]:

يَوْمَانِ: يَوْمُ مُقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال الكُمَيْتُ بن زيد [من الخفيف]:

لاَ مَهَاذِيرَ فِي النَّدِيِّ مَكَاثِيـ ... ـرَ وَلاَ مُصْمِتِينَ بِالإِفْحَامِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: النادي: الجلساءُ، والزبانيةُ: الغلاظُ الشِّدَادُ، وهم في هذا الموضع خزنةُ النارِ، والزبانيةُ أيضاً في الدنيا: أعوانُ الرَّجُلِ الذين يخدمونه ويعينونه، والواحدُ زِبْنِيَةٌ؛ قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك [من الطويل]:

= ٢٠٠؛ والمقاصد النحوية ٤/ ١٤٦؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٢١٨؛ وأوضح المسالك ٣/ ٣٧٩؛ وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٤؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٩؛ وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٨؛ ولسان العرب ٨/ ١٥٨ (سفع)؛ ومغني اللبيب ١/ ٦٣.

(١) الجُرْدُ: الخيل العتاق وهي القصيرات الشعر أيضاً، وقيل هي التي تنجرد في الحلبة عن الخيل أي: تتقدمها وتسبقها.
ويروى عجزه هكذا: ـ
..... أهل القباب، وأهل الخيل والنادي
ينظر: ديوانه ص ٦٣، وخزانة الأدب ١١/ ٢٥٧، وشرح المفصل ٤/ ٣٣.

(٢) التأويبُ: سير النهار كله.
وينظر: ديوانه ص ٩٢؛ وخزانة الأدب ٤/ ٢٧؛ وسر صناعة الإعراب ٦٢١؛ وشرح اختيارات المفضل ٢/ ٥٧٠؛ ولسان العرب ١/ ٢٢٠ (أوب)؛ والمقاصد النحوية ٢/ ٣٢٦؛ وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٨٢.

(٣) المهاذير: جمع مِهْذَارٍ وهو الكثير الكلام في غير فائدة، والإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام إما عيًّا وإما غلبة.

مَطَاعِيمُ فِي الْمَقْرَىٰ مَطَاعِينُ فِي الْوَغَىٰ زَبَانِيَةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُهَا[1]

يقول: شِدَاد، وهذا البيت في أبيات له.

وقال صَخْرُ بن عبد الله الْهُذَلِيُّ، وهو صخر الْغَيِّ [من الرجز]:

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَهْ[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه فيما عَرَضُوا عليه مِنْ أَمْوَالِهِمْ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧].

إنما كفر قريش عناداً وبغياً

فلما جاءهم رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بما عَرَفُوا مِنَ الحقِّ، وعرفوا صِدْقَهُ فيما حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فيما جاءهم به مِنْ علم الغيوب ـ حين سألوه عما سألوا عنه ـ حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصديقه، فَعَتَوْا على الله، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عياناً، وَلَجُّوا فيما هم عليه مِنَ الْكُفْرِ، فقال قائلُهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] أي: اجْعَلُوه لَغْواً وباطلاً، واتخذُوهُ هُزُواً لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بذلك، فإنكم إنْ ناظرتُمُوهُ أو خَاصَمْتُوهُ يوماً، غَلَبَكُمْ.

مقالة لأبي جهل وما نزل فيها من القرآن

فقال أبو جهل يَوْماً وهو يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ)صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يَزْعَمُ محمدٌ أَنَّ جنودَ الله الذين يُعَذِّبُونَكُمْ في النارِ وَيَحْبِسُونَكُم فيها تِسْعَةُ عشرٍ، وأنتم أَكْثَرُ الناسِ عدداً وكثرةً؛ فيعجز كلُّ مائةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ منهم، فأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه في ذلك مِنْ قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصة.

فلما قال ذلك بعضُهم لبعضٍ جَعَلُوا إذا جَهَرَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالقرآن

---

(١) مطاعيم في المقرى: هو من القِرى، وهو الطعام الذي يصنع للضيف. والوَغَى: الحرب، والغُلْبُ: الغلاظ الشداد.

(٢) كبير هنا: اسم قبيلة من هذيل.
وينظر: الروض الأنف (٢/ ٦٥).
وبعده:

لو أن أصحابي بنو معاوية ما تركوني للذئاب العادية
ولا لِبَزْدَونٍ أغرّ الناصية

وهو يُصَلِّي يَتَفَرَّقُون عنه، ويأبَوْن أَنْ يَسْتَمِعُوا له، وكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعضَ ما يتلو من القرآن وَهُوَ يُصَلِّي اسْتَرَقَ السَّمْعَ دونهم فَرَقاً منهم؛ فإن رأى أنهم قد عَرَفُوا أنه يَسْتَمِعُ منه ذَهَبَ خَشْيَةً أَذَاهُمْ، فلم يَسْتَمِعْ، وإن خفض رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صَوْتَهُ فَظَنَّ الذي يَسْتَمِعُ أنهم لا يستمعون شيئاً مِنْ قِرَاءَتِهِ وَسَمِعَ هو شيئاً دونهم أَصَاخَ له يَسْتَمِعُ منه (٥٩/ أ).

قال ابن إسحاق: حدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم، أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم، إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] مِنْ أَجْلِ أولئك النفرِ؛ يقولُ: لا تجهر بِصَلاَتِكَ فيتفرَّقوا عنك، ولا تُخَافِتْ بها فلا يَسْمَعُهَا مَنْ يحبُّ أَنْ يَسْمَعَهَا ممن يَسْتَرِقُ ذلك دُونَهُمْ لعلَّه يَرْعَوِي إلى بَعْضِ ما يَسْمَعُ فينتفع به [٢١٦].

أول من جهر بالقراءة في مكة من أصحاب النبي

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالوا: والله ما سَمِعَتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهَرُ لها به قطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنَّا نخشاهم عليك، إنَّما نُرِيدُ رَجُلاً له عشيرةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إنْ أَرَادُوه، قال: دعوني فإن الله سَيَمْنَعُني، قال: فغدا ابنُ مسعودٍ حتى أتى المقام في الضُّحَىٰ، وقريشٌ في أنديتها، حتى قَامَ عند المقام، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعاً بها صوته: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: وَتَأَمَّلُوهُ، فجعلوا يَقُولُون: مَاذَا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم

---

[٢١٦] إسناده ضعيف لكن الحديث صحيح كما سيأتي وداود بن الحصين في روايته عن عكرمة شيء قال علي بن المديني: ما روي عن عكرمة فمنكر الحديث وقال أبو داود: أحاديثه عن عكرمة مناكير وأحاديثه عن شيوخه مستقيمة. وقد فصل ابن حبان حاله في «الثقات» فقال: كان يذهب مذهب الشراة وكل من ترك حديثه على الإطلاق وهم لأنه لم يكن داعية إلى مذهبه والدعاة يجب مجانبة رواياتهم على الأحوال فأما من انتحل بدعة فلم يدع إليها وكان متقياً كان جائز الشهادة محتجاً بروايته فإن وجب ترك حديثه وجب ترك حديث عكرمة لأنه كان يرى مذهب الشراة مثله اهـ.
وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة إلا في عكرمة ورمى برأي الخوارج. ينظر «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) والتقريب (١/ ٢٣١). والحديث من طريق ابن إسحاق أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٢٨) رقم (١١٥٧٤) وللحديث طريق آخر عن ابن عباس.
أخرجه البخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦/ ١٤٥) والترمذي (٣١٤٥، ٣١٤٦) والنسائي (١٠١١، ١٠١٢) كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قالوا: إنه ليتلو بَعْضَ مَا جَاءَ به محمدٌ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَامُوا إليه، فجعلوا يَضْرِبُونَ في وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتى بَلَغَ منها ما شاء الله أَنْ يَبْلُغَ، ثم انْصَرَفَ إلى أصحابِهِ، وَقَدْ أثروا في وَجْهِه، فقالوا له: هذا الذي خَشينا عليك، فقال: ما كان أعداءُ الله أَهْوَن عليَّ منهم الآن، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لأغَادِيَنَّهم بمثلها غَداً، قالوا: لا، حَسْبُكَ قد أَسْمَعْتَهُمْ ما يَكْرَهُونَ [٢١٧].

بعض المشركين يخرج ليلاً ليستمع القرآن

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه حُدِّث، أن أبا سفيان بن حرب وأبا جَهلِ بن هشام والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة؛ خَرَجُوا ليلةً لِيَسْتَمِعُوا من رسولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو يُصَلِّي مِنَ الليلِ في بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ منهم مجلساً يَسْتَمِعُ فيه، وكلٌّ لا يَعْلَمُ بمكانِ صاحِبِهِ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فَتَلاَوَمُوا، وقال بعضُهم لبعضٍ: لا تَعُودُوا فلو رآكم بَعْضُ سفهائكم لأوقعتم في نَفْسِهِ شَيْئاً، ثم انْصَرَفُوا، حتى إذا كانتِ الليلةُ الثانيةُ عَاد كُلُّ رَجُلٍ منهم إلى مَجْلِسِهِ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مِثْلَ ما قالوا أَوَّل مَرَّةٍ، ثم انْصَرَفُوا، حتى إذا كانتِ الليلةُ الثالثةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ منهم مَجْلِسَهُ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْر تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: لا نَبْرَحُ حتى نتعاهدَ ألاَّ نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا؛ فَلَمَّا أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أَخَذَ عَصَاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سَمِعْتَ من محمدٍ، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد (٥٩/ب) سمعتَ أشياءَ أَعْرِفُهَا وأعرفُ ما يُرَادُ بها، وسمعتُ أشياءَ ما عرفتُ معناها ولا ما يرادُ بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفتَ به كذلك، قال: ثم خَرَجَ مِنْ عِنْدِه حتى أتى أبا جهلٍ فَدَخَلَ عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمدٍ؟ فقال: ما سمعتُ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنا، وحملوا فحملنا، وأعطَوْا فأعطَيْنَا، حتى إذا تَجَاذَيْنَا على الركبِ وكنا كفَرَسَيْ رِهان قالوا:

---

[٢١٧] إسناده صحيح. وتقدم الكلام على هذا الإسناد. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق. وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٦٦) من طريق ابن إسحاق. وذكره أيضاً ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ١٩٩) من طريق ابن إسحاق.
وله شاهد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢١) رقم (٨٩٦١) عن القاسم قال: أول من أفشى القرآن من فيِّ رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٣) وقال: وإسناده منقطع.

مِنَّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ مِنَ السماءِ، فمتى نُدْرِك مثلَ هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدِّقُهُ، قال: فَقَامَ عنه الأخنس وَتَرَكَهُ [٢١٨].

قال ابن إسحاق: وكان رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا تَلاَ عليهم القرآن وَدَعَاهُمْ إلى اللهِ قَالُوا يَهْزَءُونَ به: قلوبُنا في أكِنَّةٍ مما تَدْعُونَا إليه لا نَفْقَهُ ما تقولُ، وفي آذاننا وَقْرٌ لا نَسْمَعُ ما تَقُولُ، وَمِنْ بيننا وبينك حجابٌ قَدْ حَالَ بيننا وبينك، فَاعْمَلْ بما أنتَ عليه إننا عاملون بما نحن عليه، إنا لا نَفْقَهُ عنك شيئاً، فَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦] إلى قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] أي: كيف فَهِمُوا تَوحِيدَكَ رَبَّكَ إنْ كُنْتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة وفي آذانِهم وَقْراً وبينك وبينهم حجاباً بِزَعْمِهِمْ، أي: إني لم أَفْعَلْ ذلك، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧] أي: ذلك ما تواصَوْا به من ترك ما بعثتك به إليهم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨] أي: أخطؤا المثل الذي ضربوا لك فلا يصيبون به هدى، ولا يعتدل لهم فيه قولٌ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩] أي: قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاماً ورفاتاً، وذلك ما لا يكون ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥٠، ٥١] أي: الذي خلقكم مما تعرفون ليس خلقكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألتُهُ عَنْ قَوْلِ الله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] [٢١٩] ما الذي أراد الله به؟ فقال: الموتُ.

---

[٢١٨] إسناده مرسل. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) من طريق ابن إسحاق به.

[٢١٩] إسناده حسن. وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد. وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٦٢) من طريق ابن إسحاق به. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٧) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد.

ذِكْرُ عُدْوَانِ المُشْرِكِينَ عَلَى المُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِالأَذَىٰ وَالْفِتْنَةِ

صنوف من تعذيب الكفار للمستضعفين من المسلمين

قال ابن إسحاق: إنَّهم عدوْا عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ واتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ أَصْحَابِهِ، فَوَثَبَتْ كُلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، وَيُعَذِّبُونَهُمْ بالضربِ والجوعِ والعطشِ وبرمضاء مكَّة إذا اشْتَدَّ الحرُّ، مَنِ استضعفوا منهم؛ يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِم؛ فمنهم مَنْ يفتتن مِنْ شِدَّةِ البلاءِ الذي يُصِيبُهُ، ومنهم مَنْ يُصْلَبُ لهم ويَعْصُمُهُ الله منهم، وكان بِلاَلٌ مولى أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ لبعضِ بني جُمَح مُوَلَّداً من مولديهم.

بلال بن رباح وصبره على التعذيب

(وهو بلالُ بن رَبَاح، وكان اسم أُمه حَمَامة) وكان صَادِقَ الإسلامِ، طَاهِرَ القلبِ[1]، وكان أُمَيَّةُ بن خَلَف بن وهب بن(٦٠/أ) حذافة بن جُمَح يُخْرِجُهُ ـ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرةُ[2] فَيطْرَحُهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ في بَطْحَاء مكَّةَ ثم يأمُر بالصَّخرةِ العظيمةِ فتُوضَعُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، ثم يقولُ له: لا تزالُ هكذا حتى تمُوتَ أو تَكْفُرَ بمحمدٍ وتعبدَ اللاَّتَ والْعُزَّى، فيقولُ وهو في ذلك البلاء: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كان وَرَقَةُ بن نَوْفَل يَمُرُّ به وَهُوَ يُعَذَّبُ بذلك، وهو يقولُ: أَحَدٌ أحدٌ، فيقولُ: أحدٌ أَحَدٌ والله يا بلال، ثم يُقبل على أمية بن خلف وَمَنْ يَصْنَعُ ذلك به من بني جمح؛ فيقول: أَحْلِفُ باللهِ، لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ على هذا؛ لأتخذنه حَنَانا[3] حتى مَرَّ به أبو بكر الصديقُ ـ رضي الله عنه ـ يوماً وَهم يَصْنَعُونَ ذلك به، وَكَانَتْ دارُ أبي بكر في بني جُمَح، فَقَال لأمية بن خلف: ألا تَتَّقِي الله في هذا المِسْكِينِ؟ حَتَّىٰ مَتَىٰ؟ قال: أنت الذي أفْسَدْتَهُ، فأنْقِذْهُ مما تَرَىٰ، فقال أبو بكر: أَفْعَلُ، عندي غلامٌ أَسْوَدُ أجْلَدُ منه، وأقوى على دِينِك، أُعْطِيكَهُ به، قال: قَدْ قَبِلْتُ، قال: هُوَ

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ١/٥٠٢، والتقريب ١/١٠٩، والثقات ٣/٢٨، والإصابة ١/٣٢٦، وتاريخ البخاري الكبير ٢/١٠٦، والبداية والنهاية ٧/١٠٢، والعقد الثمين ٣/٣٧٧.

(٢) الظَّهِيرةُ: وقت شدة الحر.

(٣) لأَتَّخَذَنَّهُ حناناً، معناه: لأتمسَّحَنَّ به ولأعطفن عليه.

لَكَ، فَأَعْطَاهُ أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ غُلاَمَهُ ذلك، وأخذه فَأَعْتَقَهُ [٢٢٠].

عتقاء أبي بكر رضي الله عنه

ثم أعتقَ معه على الإسلام قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إلى المدينةِ ستَّ رقابٍ، بلالٌ سابعهم: عَامِر بن فُهَيْرَة، شَهِدَ بدراً وأحداً وقُتل يوم بئرِ مَعُونه شَهِيداً وأم عُبَيس وزِنِّيرَة[1]، وأصيب بَصَرُهَا حين أَعْتَقَهَا، فقالتْ قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضرُّ اللاتُ والعزى، وما تنفعان، فردَّ الله بَصَرَهَا؛ وأعتقَ النَّهْدِيَّةَ وبنتَهَا، وكانتا لامرأةٍ من بني عبد الدار، فَمَرَّ بهما وَقَدْ بَعَثَتْهُمَا سيدتهما بطحين لها وهي تقولُ: والله، لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: حِلِّي يا أم فلان[2]، فقالت: حِلٌّ أنت أَفْسَدْتَهُمَا فأعْتِقْهُما، قال: فَبِكَمْ هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهُمَا وهما حُرَّتَان، ارْجِعَا إليها طَحِينَهَا، قالت: أو تفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؟ قال: ذلك إنْ شِئْتُمَا.

وَمَرَّ بجاريةِ بني مؤمل ـ حي من بني عدي بن كعب ـ وَكَانَتْ مسلمةً، وكان عمرُ بْنُ الخطاب يُعَذِّبُهَا لتتركَ الإسلامَ، وهو يومئذٍ مُشْرِكٌ وهو يضربُها، حتى إذا مَلَّ قال: إني أَعْتَذِرُ إليك، إِنِّي لَمْ أَتْرُكْكِ إِلاَّ مَلاَلَةً، فتقولُ: كذلك فَعَلَ الله بك، فَابْتَاعَهَا أبو بكر، فَأَعْتَقَهَا [٢٢١].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله، قال: قال أبو قُحَافة لأبي بكر: يا بُنَيَّ إني أراك تُعْتِق رِقَاباً ضِعَافاً، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ أعتقتَ رِجَالاً جُلْداً يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ، قال: فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا أَبَتِ، إِنِّي إِنَّما أُرِيدُ ما أُرِيدُ لله، قال: فيتحدثُ أنه ما نَزَلَ هؤلاء

---

[٢٢٠] إسناده ضعيف لانقطاعه وفي متنه نكارة فإن ورقه بن نوفل لم يعش حتى بعث النبي ﷺ وإلا كان قد آمن به فإنه مات قبل البعثة. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/١٤٨) من طريق ابن إسحاق به. وذكره من هذا الطريق الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٣٥٢) وقال: هذا مرسل ولم يعش ورقة إلى هذا الوقت اهـ.

[٢٢١] ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٤٣٤) وعزاه ليونس بن بكير في «زيادات المغازي» لابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه به. وقصه زنيرة وأصابه بصرها ينظر لها الإصابة (٨/١٥١).

---

(١) الزنانير: الحصى الصغار، واحدتها زنيرة وكذا قيَّده الدارقطني. ومن رواه: زبيرة فهو من زَبَرَه أي: زجره، والنون فيه زائدة. وقد يقال: زَبَرْتُ الكتاب أيضاً: إذا كتبته.

(٢) حِلِّ يا أم فلان، معناه: تحللي من يمينك واستثني فيها، وأكثر ما تقوله العرب بالنصب، وقد روي بالوجهين هنا بالرفع والنصب.

الآيات إلاَّ فيه وفيما قَالَ له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ [الليل: ٥ ـ ٦] إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٩، ٢٠، ٢١] [٢٢٢].

عمار بن يسار وأبوه وأمه يعذبون في سبيل الله

قال ابن إسحاق: وَكَانَتْ بنو مخزوم يَخْرجُونَ بعَمَّار بن ياسر وبأَبيه وأُمه ـ وكانوا أَهْلَ بيتٍ (٦٠/ب) إسلام ـ إذا حَمِيَت الظَّهِيرةُ يُعَذِّبونهم برَمْضَاءَ مَكَّةَ[1] فيمرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيقولُ فيما بلغني «صَبْراً آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ» [٢٢٣] فأَمَّا أُمُّهُ فقتلُوها وهي تأْبى إلاَّ الإِسلامَ.

وكان أبو جهلٍ الفَاسِقُ الذي يُغْرِي بهم في رِجَالٍ من قريشٍ، إذا سَمِعَ بالرجلِ قَدْ أَسْلَمَ له شَرَفٌ وَمَنَعَة أَنَّبه[2] وخَزَّاه[3]، وَقَالَ: تَرَكْتَ دِينَ أَبِيكَ وهو خَيْرٌ مِنْكَ، لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَكَ، وَلَنُفَيِّلَنَّ رأيك[4]، وَلَنَضَعَنَّ شَرَفَكَ، وَإِنْ كَانَ تَاجِراً قال: والله، لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وإِنْ كَانَ ضَعِيفاً ضَرَبَه وَأَغْرَىٰ به [٢٢٤].

قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن

---

[٢٢٢] إسناده ضعيف. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٥٨) من طريق ابن إسحاق.

[٢٢٣] ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة فأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني رجال من آل عمار بن ياسر: أن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة.

وسنده ضعيف لجهالة شيوخ ابن إسحاق وإعضاله أيضاً. وأخرجه الحاكم (٣/ ٨٨) ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨٢) من طريق أبي الزبير عن جابر به.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤٠) من طريق سالم بن أبي الجعد عن عثمان به. وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ٨٧) رقم (٤٠٣٤) وعزاه للحارث بن أبي أسامة وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٩٦) وعزاه للطبراني وقال: رجاله ثقات.

[٢٢٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٧٦) عن ابن إسحاق.

---

(١) الرَّمضاء: الرمل الحار من شدة حرارة الشمس.

(٢) أَنَّبَه، أي: عاتبه.

(٣) خزَّاه: من الخزي، ومن: رواه خذَّاه، فمعناه: ذلَّله.

(٤) لَنُفَيِّلَن رأيك، معناه: لنضعفنه، يقال: رجل فِيلُ الرأي، أي: ضعيفه.

عباس: أَكَانَ المشركون يَبْلغونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ العذابِ ما يُعْذَرون به في تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قال: نعم والله؛ إنْ كَانُوا لَيَضْرِبُون أَحَدَهم ويُجِيعُونَهُ ويعطشونَهُ حتى ما يَقْدرُ عَلَىٰ أَنْ يَسْتَوِيَ جالساً مِنْ شِدَّةِ الضُرِّ الذي نَزَلَ به، حتى يُعْطِيَهُمْ ما سألوه مِنَ الفتنةِ، حتى يَقُولُوا له: اللات والعزى إلٰهُكَ مِنَ دُونِ الله؟ فيقول: نعم، حَتَّىٰ إنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم فيقولُون له: هذا الْجعل إلٰهُكَ من دون الله فيقولُ: نعم، افتداءَ منهم مما يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ [٢٢٥].

مشركو مكة يحاولون إيذاء جماعة ممن أسلموا فيدفعهم الله عنهم

قال ابن إسحاق: وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد، أنه حُدِّث، أَنَّ رجالاً من بني مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ـ حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة ـ وكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَأْخُذُوا فتيةً منهم كانوا قد أَسْلَمُوا: منهم سلمةُ بنُ هشام، وعَيَّاشُ بْنُ أبي ربيعة، قال: فقالوا له وخَشُوا شَرَّه: إنَّا قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نُعَاتِبَ هؤلاءِ الفتيةَ عَلَىٰ هذا الدين الذي أَحْدَثُوا؛ فإنا نَأْمَنُ بذلك في غَيْرِهم، قال: هذا فعليكم به فَعَاتِبُوهُ، وإياكم ونفسه، ثم قال [من الوافر]:

أَلاَ لاَ يُقْتَلَنَّ أَخِي عُيَيْنٌ ... فَيَبْقَىٰ بَيْنَنَا أَبَداً تَلاَحِي[1]

احْذَروا على نَفْسِهِ، فَأَقْسَمَ بالله لئن قَتَلْتُمُوهُ لأقتلنَّ أَشْرَفَكُمْ رَجُلاً، قال: فقالوا: اللهم الْعَنْهُ، مَنْ يغرر بهذا الحديث[2]، فوالله، لو أُصيب في أيدينا لَقَتَلَ أَشْرَفَنَا رجلاً، فتركوه وَنَزَعُوا عنه، قال: وكان ذلك مما دَفَعَ الله به عنهم.

---

[٢٢٥] إسناده ضعيف. حكيم بن جبير ضعيف. قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب. وقال ابن معين: ليس بشيء، وتركه شعبة وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث. وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الدارقطني: متروك. ولخص الحافظ هذه الأقوال في «التقريب» فقال: ضعيف رمى بالتشيع.
ينظر «تهذيب الكمال» (٧/ ١٦٧ ـ ١٦٨) والتقريب (١/ ١٩٣) والأثر أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٢٠٤) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٧٦) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) التَّلاحي في بيت الشعر معناه: اللوم.

(٢) قال الخشني: من يَغُرُّ بهذا الحديث، أي: من يلطخ نفسه به ويؤذيها، يقال: غَرَّهُ يَغُرُّه: إذا لطخه بشر ونسبه إليه.

ذِكْر الْهِجْرَةِ الأُولَىٰ إِلَىٰ أَرْضِ الحَبَشَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سبب الهجرة إلى الحبشة

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائي، عن محمد بن إسحاق الْمُطَّلبي، قال:

فلما رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ البلاءِ، وما هو فيه مِنَ الْعَافِيَةِ؛ لِمَكَانِهِ مِنَ الله، وَمِنْ عَمِّهِ أبي طالب، وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ على أَنْ يَمْنَعَهُمْ مما هُمْ فيه مِنَ البلاءِ، قال لهم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَي أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ الله لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» فَخَرَجَ عند ذلك المسلمون من أصحابِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ؛ مَخَافَةَ الفِتْنَةِ، وفراراً (٦١/أ) إلى الله بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أولُ هجرةٍ كَانَتْ في الإِسْلاَمِ.

المهاجرون الأولون إلى أرض الحبشة وقبائلهم

وكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر: عثمانُ بن عَفَّان بن أبي العاص بن أمية، مَعَهُ امرأتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شمسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف: أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عَمْرو، أحد بني عامر بن لؤي، وَلَدَتْ لَهُ بِأَرْضِ الحبشة محمد بن أبي حذيفة.

وَمِنْ بَنِي أَسَد بن عبد العزى بن قصي: الزُّبَيْر بن الْعَوَّام بن خُوَيْلد بن أسد.

ومن بني عبد الدار بن قصي: مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

ومن بني زُهْرة بن كلاب: عَبْدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة.

ومن بني مَخْزوم بن يَقَظَة بن مرة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم، مَعَهُ امرأَتُهُ أُمُّ سَلَمَة بِنْتُ أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب: عُثْمَان بن مَظْعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح.

ومن بني عديِّ بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل (قال ابن هشام: وَيُقَالُ: مِنْ عنزة بن أسد بن ربيعة)، مَعَ امرأتِهِ لَيْلى[1] بنت أبي حَثْمة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيج بن عدي بن كعب.

ومن بني عامر بن لؤي: أبو سَبْره بن أبي رُهْم بن عبد الْعُزَّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدُودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ ويقال: هُوَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَهَا.

ومن بني الحرث بن فهر: سُهَيْل بن بَيْضَاء (وهو سُهَيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث).

فَكَانَ هؤلاءِ العشرةُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ المسلمين إِلَىٰ أَرْضِ الحبشة، فيما بَلَغَني.

قال ابن هشام: وَكَانَ عليهم عثمانُ بن مَظْعون ـ فيما ذَكَرَ لي بعضُ أَهْلِ العِلم.

قال ابن إسحاق: ثم خَرَجَ جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وَتَتَابَعَ المسلمون حتى اجْتَمَعُوا بأرضِ الحَبَشَةِ فَكَانُوا بها، منهم مَنْ خَرَجَ بأهلِهِ معه، ومنهم مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ لا أَهْلَ له معه.

المهاجرون من بني هاشم إلى الحبشة

من بني هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فهر: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس بن النُّعْمان بن كَعْب بن مالك بن قُحَافة بن خَثْعم، وَلَدَتْ له بِأَرْضِ الحَبَشَةِ عبد الله بن جعفر، رَجُلٌ.

المهاجرون من بني أمية إلى الحبشة

ومن بني أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمانُ بن عَفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، مَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقَيَّة ابنة رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأتُه فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَان بن أمية بن محرث بن شق بن رَقَبة بن مُخْدج الكِنَانيّ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته أُمَيْنَة بنتُ خلف بن

---

(١) في نسب ليلى امرأة كعب بن عامر بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد، كذا وقع، وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج، وكذا قال فيه أبو عمر.

أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن يثيع بن جعثمة بن سَعْد بن مُلَيح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: هُمَيْنَة بنت خلف.

قال ابن إسحاق (٦١/ب): وَلَدَتْ له بأرضِ الحَبَشَةِ سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد؛ وَتَزَوَّجَ أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فَوَلَدَتْ لَهُ عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير.

المهاجرون إلى الحبشة من بني أسد بن خزيمة

وَمِنْ حلفائهم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جَحْش[١] بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبرة بن مُرَّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد، وأخوه عُبَيْد الله بن جحش، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أمُّ حبيبة بِنْتُ أبي سفيان بن حرب بن أمية، وقَيْسُ بن عَبْد الله، رَجُلٌ من بني أَسد بن خزيمة، مَعَهُ امْرَأَتُهُ بَرَكَةَ بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية، ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة، وهؤلاء آلُ سعيد بن العاص، سبعة نفر.

قال ابن هشام: مُعَيْقيب من دَوْس.

المهاجرون إلى الحبشة من بني عبد شمس

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شَمْس بن عبد مناف: أبو حُذَيْفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس[٢]؛ وأبو موسى الأشعري[٣]، واسمه عبد الله بن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نوفل

ومن بني نَوْفَل بْنِ عَبْدِ مناف: عُتْبة بْنُ غزْوان[٤] بن جابر بن وَهْب بن نَسيب بن مالك بن الْحارث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان، حَلِيفٌ لهم، رَجُلٌ.

المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى

ومن بني أسد بن عبد الْعُزَّى بن قصي: الزُّبَيْر بْنُ الْعَوَّام بْنِ خُوَيلد بن أسد، والأَسْوَدُ

---

(١) ينظر: الثقات ٣/ ٢٣٧، وتعجيل المنفعة ٥٢٨.

(٢) ينظر: الإصابة ٧/ ٧٤، وأسد الغابة ت (٥٨٠٧)، والإستيعاب ت (٢٩٥٥).

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٣٦٢، والتقريب ١/ ٤٤١، والخلاصة ٢/ ٨٩، والكاشف ٢/ ١١٩، والثقات ٣/ ٢٢١، والإصابة ٤/ ٢١١.

(٤) وتهذيب التهذيب ٧/ ١٠٠، والتقريب ٢/ ٥، والخلاصة ٢/ ٢١٠ والثقات ٣/ ٥٩٦، وأسد الغابة ٣/ ٥٦٥.